دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دمشق عاصمة كنعانية آرامية
المصدر:	التراث العربى - سوريا
المؤلف الرئيسي:	أبو عساف، علي
المجلد/العدد:	مج28, ع112
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الشهر:	كانون الأول / ذو الحجة
الصفحات:	73 - 82
رقم MD:	655573
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, AraBase
مواضيع:	دمشق، تاريخ دمشق، الكنعانيون، الآراميون، الآشوريون، الملوك و الحكام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/655573

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دمشق عاصمة كنعانية آرامية

د. علي أبو عسّاف

U u

عندما نكتب عن دمشق في العصور القديمة ينتابنا شعور بالأسف لافتقادنا لأخبارها التي دونها حكامها فـي العصور الغابرة وغابت في طبقات المدينة الحضرية المتراكمة بعضها فوق بعض تغطيها المساكن التي تحـول بين الباحثين الآثاريين وبين تراث العصور ما قبل الكلاسيكية، وأنا تقدمت بي السن ولا أظن أن الفرصة ستتاح لي لأشهد اكتشافات أثرية تعود إلى العصرين الآرامي والكنعاني قبله.وفي هذه الحالة علـيَّ أن أعتمـد علـى الوثائق المصرية والآشورية في كتابة شيءٍ عن تاريخ دمشق كما فعل غيري من الباحثين في هـذا التـاريخ. ومنهم على سبيل المثال ويني بيتارد[1] الذي استدعى نتائج التنقيبات الأثرية في مواقع تل الرماد شرق قطنا وتل أسود وعريقة وتل الصالحية بمنطقة النشابية ليدلل على قدم دمشق ومنطقتها. ولم يعثر فيها على وثائق خطيـة كالرقم أو الألواح الطينية تشير إلى دمشق.

يتفق الباحثون في تاريخ بلاد الشام القديم على أن نصوص الاحتقار المصرية التي ذكـرت أعـداء ملـوك مصر في عهد السلالة الثانية عشر ١٩٩١ ــ ١٧٨٦ق.م. في بلاد الشام ورد فيها وخاصة تلك المكتشفة فـي صقارة الاسم إفوم في جملتين الأولى: أمير جنوب افوم والثانية: أمير شمال افوم اخوكبكابو وهذا يفيد بأن هـذه المنطقة كانت واسعة حتى قسمت إلى منطقتين شمالية وجنوبية وكان الأمير آخوكبكابو يحكم الشمالية وهو اسم كنعاني أي أخ الكوكب. ونرجح أن المنطقة المعنية هنا كانت تمتد من درعا في الجنوب حتى جبال القلمون أي أن مدينة دمشق تقع ضمنها ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى العلاقات التجارية الوطيدة التي قامت بين بـلاد الشـام الجنوبية ومصر وقد قدمت التنقيبات الأثرية في تل دبة بريكة شمالي مدينة السويداء خلال موسم عـام ٢٠٠٦

(1) Ancient Damascus Eisenbrauns (1987) USA,Wayne T.Pilard

الدليل الأحدث على هذه العلاقات من خلال اكتشاف أختام مصرية على شكل خنفس جنباً إلى جنب مع أبـــاريق الزيت الكنعانية الشهيرة في حجمها الصغير وشكلها الكروي وعنقها الطويل وفوهتها الضيقة والتـــي رصـــعت بحبيبات حجرية ذات ألوان بيضاء أو حمراء زاهية انتظمت في خطوط مستقيمة ومتعرجة تشكل زخرفاً جميلاً يغطي بعضاً من الجسم الكروي وقد كانت هذه عبوات نفيسة لتصدير سوائل غالية الثمن مثل زيـــت الـــبطم أو العطر المستخرج من صمغته ولا نشك أن الأختام هي لتجار مصريين أو وكلائهم في هذه المدينة الهامة.

ومن المستحسن هنا أن نشير إلى بعض الرقم التي اكتشفت بمدينة ماري من عصر الملـــك زمـــري لـــيم ١٨٨٠ــــ١٧٦٠تقريباً قد ذكرت فيه اسم مملكة آبوم فظن الباحثون وعلى رأسهم البرايت آن آبوم هذه هي عين ابوم /افوم الواردة في الوثائق المصرية[١]. وقد تبين فيما بعد أن مملكة آبوم الواردة في النصوص المارية هـــي مملكة في الجزيرة ولا علاقة للملكتين ببعضهما سوى تشابه الاسمين.

لقد سعى ملوك مصر على الدوام في الحفاظ على أحسن وأمتن العلاقات مع ممالك بـــلاد الشـــام وإزالـــة المعوقات التي تحول دون استمراريتها وتطورها وتصدوا للبدو واللصوص الذين اعتدوا على الطرق التجاريـــة عن طريق الحملات العسكرية التي استخدموها أيضاً لدرء خطر هجرة القبائل الحورية إلى الجزيرة التي طاب لها بعد تشكيلها ممالك في شمال العراق وأعالي الجزيرة مدَّ نفوذها إلى بلاد الشام

الحقيقة أن تشكيل الممالك الحورية إبان القرن السادس عشر ق.م أدى إلى اضـــطراب الأحـــوال وتـــدخل الممالك في العراق وبلاد حتي بشؤون بعضها وكان للحثيين الدور الأبرز في هذا المضمار إذ من المـــرجح أن مورشيلي الأول (حوالي عام ١٦٠٠ق.م) كان قد شجع الكشيين على احتلال بابل فقاد فـــي عـــام ١٥٩٤ق.م. حملة على بابل تزامنت مع انتشار الكشيين في جنوبي بلاد النهرين[٢]. ومن بابل تحول إلى حلب ومنها عاد إلى حتي.

في هذا العالم المختل أدرك المصريون المخاطر التي ستتعرض لها مصالحهم في بلاد الشام مـــن جـــراء الصراعات بين الآشوريين والميتانيين والحثيين والكبشيين وتدخلهم في بلاد الشام الشمالية وهم الذين كانوا قـــد انتفضوا للتو ضد الهكسوس أي الغرباء وأعادوا للركب الحضاري المصري هيبته وزهوه ومســـاره الصـــحيح بقيادة آموس ١٥٥٢ــــ١٥٢٧وخلفائه من بعده الذين مدوا نفوذهم إلى بلاد الشام التي نزح منهـــا الغربـــاء إلـــى مصر.

وفي خضم هذه الأحداث كانت ممالك بلاد الشام محتارة في أمرٍها وإلى أين تتجه وعندما بدأ تحوتمس الثالث ١٤٩٠ــــ١٤٣٦حملاته على بلاد الشام في عام ١٤٥٠ق.م تقريباً وجه أمير قادش عند الطرف الجنوبي لبحيرة قطينة نداء إلى أقرانه أمراء الممالك الشامية الأخرى لمقاومة الجيش المصري والتقى الخصوم في مجدو وقـــد تمكن الجيش المصري من محاصرة المدينة طيلة سبعة أشهر،تمكن بعدها تحوتمس الثالث من عقد معاهدة مـــع أمراء الممالك الذين أقسموا يمين الولاء له وامتنعوا عن محاربته.ونظن أن ملوك ميتاني هم الذين طلبـــوا مـــن ملوك بلاد الشام مقاومة الجيش المصري ومنعه من التقدم[٣].

بعد معركة مجدو استمرت قوة الدفع عند المصريين نحو بلاد الشام،فقد كسر تحوتمس الثالث قوة المقاومـــة عند أمراء بلاد الشام وتوج غزوه لبلاد الشام في عام ٣٣الحكمه بغزوة بدأت على الساحل قرب جبلا/ جبيل ثـــم

---

(1) Subt – Enlil et les Pays d Apum , Mari 5 (1987) p.129 – 140 D. Chapin

(2) Kultur Geschrichite des Alenvorderasien Berlin (1989)p.308.H.Klengel.

(٣) المصدر السابق Wayne T. Pitard , P.49 – 72

اتجهت إلى حوضٍ العاصي بدءاً من حماة ومنه انتقلت إلى حلب عبر جبل سمعان وخاض معارك مع الميتانيين الذين انسحبوا شرقاً، فطاردهم الجيش المصري حتى كركميش /جرابلس على الفرات، حيث وقعــت المعركــة الفاصلة التي كانت نتيجتها انسحاب الميتانيين نحو الشرق وقيام المصريين بوضع نصب تذكاري في كــركميش تخليداً لهذا النصر وإحياءٍ لنصر تحوتمس الأول ١٥٢٥ـــ ١٥١٥ق.م على الميتانيين وقد أمر أتباعه في رفــع نصب بكركميش أيضاً.

عاد الجيش المصري عبر الفرات حتى مسكنة ولم يلق مقاومة إلا في سنجار إلى الشمال الشرقي من معرة النعمان. وفي سهل الغاب تلهى تحوتمس بصيد الفيلة ومنها انتقل إلى قادش ثم دمشق وحوران إلــى فلســطين فمصر.

إن حقيقة حدوث معارك مع الميتانيين حول حلب ثم في كركميش تشير إلى أن هذه المنطقة من بلاد الشــام الشمالية كانت تحت النفوذ الميتاني وإن تحوتمس الثالث من خلال عمله هذا قد نفذ تعهداته نحو ممالك بلاد الشام التي بقيت على ولائها نحوه فطرد الميتانيين منها(١).

لم يستسلم الميتانيون لهذا الأمر وبعد وفاة تحوتمس الثالث اعتلى امنوفس الثاني ١٤٣٨ ـــ ١٤١٢ق.م عرش مصر ونزع نحو السلام ،فأعاد الميتانيون احتلال حلب وعرضوا عليه معاهدة سلام عقدها خليفتــه تحــوتمس الرابع ١٤١٢ ـــ ١٤٠٣مع أرتاتاما الميتاني .

كان أمينوفس الثالث /أخناتون ١٤٠٣ ـــ ١٣٤٠أكثر نزوعاً نحو السلام والحوار من أسلافه فــأدار حملــة مراسلات كثيفة واسعة مع الآشوريين والميتانيين والبابليين والحثيين وأمراء بلاد الشام تشهد عليهــا الرســائل المكتشفة في عاصمة أخناتون المسماة أطلالها تل العمارنة الآن، والتي يستفاد منها أن حكام تلك البلدان قد تبادلوا الأفكار والآراء حول مشاكل المنطقة بغية إبعادها عن الصراعات التي يجب أن تدفن.

لقد كسر شوبي ليليوما ملك حثي حوالي ١٣٩٠ ـــ ١٣٤٠حال السلام هذا فتدخل في الصراع على العرش الميتاني بين أرتاتاما وخصمه توشراتا الذي هزمه وفرض على خلفة أرتاتاما وهو كورتي وزا معاهدة اذعــان ورد في مقدمتها التي كرست لسرد أعماله أن شوبي ليليوما وبعد غزوه قطنا وقادش توجه إلى أفينــا أي أفــوم فاعتقل ملكها آري وانا وثلاثة من مساعديه هم امبادورا واكفارو وآريتا ونقلهم إلى حثي(٢).

ولأخذ العلم أن هذا الخبر عن أفينا /أفوم يتيم في الوثائق الحثية ولم يتأكد أي تأثير حثي في هــذه المنطقــة وربما أن ذكره في مقدمة المعاهدة تشير إلى قوة وبأس شوبي ليليوما هو من باب التبجحٍ !

حسمت معركة قادش بين رعمسيس الثاني وموفاتاليش الحثي في عام ١٣٠٠تقريباً الأمور بــين القــوتين الأعظم وقتذاك وأصبحت بلاد الشام الجنوبية من حماة حتى مصر تحت النفوذ المصري والشمالية تحت النفــوذ الحثي(٣) ونستنج هذا الوضع من المراسلات التي دارت بين البلاط الحثي والمصري بشأن انتقال موكب أميــرة حثية إلى مصر لزفها إلى رعمسيس الثاني وتم الاتفاق على أن يرافق موكبها قوات حثية حتى مدينة أيو ومــن هنا ترافقها قوات من افه إلى الحدود المصرية.وتتمثل أطلال أيو في تل أيو جنوبي حماة.

---

(١) أبو عساف ـــ خلوف، مسار حملة تحوتمس الثالث الثامنة على بلاد الشام . الحوليات الأثرية العربية الســورية مجلــد ٢٦ ص ١٦٧ ـــ ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٧ Wayne T . Pitard

(٣) أبوعساف –خلوف المصدر السابق ص ١٧٤ ـــ ١٩٨

هذا مايخص الجانب العسكري أما ما يخص الجانب الإداري فقد أقدم المصريون منذ منتصف الألف الثاني ق.م على تقسيم بلاد الشام الجنوبية إلى مناطق إدارية كانت الأولى فيها أمورو التي ضمت الشريط الساحلي من أرواد حتى بيبلوس ومنطقة حمص والثانية أفه ومركزها كوميدو وهي الآن تل كامد اللوز في البقاع الجنـــوبي تتبعها دمشق وغوطتها مع حوران والثالثة كنعان (فلسطين) ومركزها غزة.

إذاً كانت دمشق تابعة لأفة وورد اسمها لأول مرة في حملة تحوتمس الثالث على بلاد الشام تا ــ مــش ــ ق/تمشق=دمشق التي تقع في بقعة ذات نكهة خاصة بغوطتها وبردى جعلتها مميزة وإن لم تكن عاصـــمة ذات تأثير فعال في البلاد.وفي عصر ملكها بيراوزا منتصف القرن الرابع عشر ق.م علت مكانتها واستقلت عن أفـــه وقد حار الباحثون في نسبه فقيل إنه أمير ميتاني في دمشق أو ربما دمشقي واتفقوا على أنه حاكم قوي ذا هيبـــة وشهرة من خلال أعماله والمكانة التي احتلها في عصر العمارنة .فقد اعترف ملوك مصر بسيادته على منطقة واسعة حول دمشق وشكاه بورنابورياش الثاني ملك بابل حوالي عام ١٣٥٠ق.م إلى اخناتون لأنه أقدم على نهب القوافل البابلية وهي في طريقها إلى مصر.ولمكانته السامية استنجد به أمراء مدن فلسطينية ضد أبناء لابابا ملك شخم قرب نابلس الذين تدخلوا في شؤونهم .

ويستفاد من الرسالة رقم ١٩٤[(١)] التي أرسلها بيروزا إلى اخناتون يعلن فيها ولاءه أنه حكم دمشق قبل عـــام ١٤٠٣ السنة التي بدأ حكم اخناتون على مصر وقد وصف بالمراجع العربية أنه مؤسس دمشق كما ورد فـــي معجم البلدان ٢ ص٥٨٧ واسمه بيوراسف وهو بلا شك تحوير لاسم بيراوزا. ونحن لا نشك في أنه مؤســـس مملكة دمشقٍ بعد أن استقل عن سلطة كوميدو وقد كانت لديه طموحات توسعية جهد في سبيل تنفيذها فاتجه أول الأمر شمالاً صوب امارات المدن الصغيرة فتصدى له ايتاتاما أمير قادش وعرزاوي أمير رخسي في منطقـــة حسيا وتعيوواتي أمير لوبانا جوار حسيا وقادش بينما ناصره بيري أمير خشابو والدايه أمير حزي/عزي وأبـــي ريشا أمير عين شازب في جبال القلمون الشرقية وأمراء حوران وهم ارتامانيا أمير زيري باشاني فـــي ســـهل النقرة وعبدي ملكي أمير شاشخيمي الشيخ مسكين وكذلك أمراء قانو /القنية ودوبو/ تل الدبة بين شهبا والسويداء ونصيب شرقي درعا وعشتروه تل عشترة شرقي عدوان.

لقد ساد الشك والريبة علاقة بيروزا مع الإمارات الكنعانية جنوبي اليرموك فنظموا تحالفاً ضده ضم بيـــري دشوا أمير يانوعمو وأمير بصرى وأمير خالونه بجوارها وعندما أصبح بيراوزا على هذه الحال أعـــداء فـــي الشمال والجنوب انتقل إلى كوميدي وطلب النجدة من ملك مصر الذي نظن أنه سانده هو وأمير كوميدي اللذين لا تربطهما بأمير قادش ومن يدور في فلكه علاقات جديدة[(٢)].

ولقلة الأخبار والوثائق لا نعرف نهاية بيراوزا ومن خلال التنقيبات في كامد اللوز عثر على رقـــم طينيـــة أحدها رسالة موجهة من أحد ملوك مصر إلى زلاياملك دمشق تؤرخ عادة في القرن الرابع عشر ق.م. يطلـــب فيها إرسال المرتزقة الخابيرو إلى مصر ليرسلهم فيما بعد الفرعون إلى بلاد النوبة.

لقد وجدت هذه الرسالة الموجهة إلى ملك دمشق في كامد اللوز /كوميدو فلماذا وجدت هنا ؟ربما لأن كوميدو هي مقر الوالي المصري الذي تتبع لإدارته دمشق أو أنها بقيت هنا وهي في طريقها إلى دمشق .وعلى أية حال نعرف من خلال الوثائق أسماء ثلاثة من ملوكها هم آري وانا وزلايا وبيراوزا .وبالإضافة إلى اهتمام البـــاحثين في تاريخ دمشق وجد اسمها أيضاً الاهتمام.

---

(١) رقمت الرقم الطينية المكتشفة في موقع العمارنة بمصر من ١ ــ ؟ مسبوقاً بحرفE

(٢) المصدر إياه ص ٧٧ ــ ٨٠ Wayne T. Pitard

لقد ورد اسم دمشق تي ــ مشـــ ــ قا في حوليات تحوتمس الثالث كما أسلفنا وكتب في رسائل العمارنة: دي[اورو] ــ مش ــ قاو[اورو] دو ــ ما ــ آش ــ قا[اورو] وتي ــ ما ــ آش ــ قا .وفي الرسالة الموجهــة إلى زلابا سطر الاسم تي[اورو] ما ــ أش ــ قي وفي كتاب العهد القديم دَميشِقْ ودارميشق أربع مرات وفي الدور الآشوري وردت دمشق مرفوعة دمشقو ومجرورة دمشقي ومنصوبة دمشقا وفي الآرامية دمشق إنه اسم محلي مركب من حرف الدال اسم اشارة ومشق الذي يعني السقاية ويصبح معنى الاسم ذات السقي اشارة إلى وفــرة مياهها أما دار مشق فتعني دار أو موطن مشق؟ وقد وصفت مملكة دمشق الآرامية بأنها ذات الحمير اشارة إلى مكانة هذه المملكة كمحطة تؤمها قوافل التجار من جميع الجهات.

وتأسيساً على ذلك نرى أن اسم دمشق لم يتغير فقد بقي كما هو عبر العصور وربما كان معناه وصفاً للبيئة التي تحتضن دمشق

لقد أثار انتقال السلطة من الكنعانيين إلى الآراميين في بلاد الشام حواراً بين العلماء فقد تزامن مــع غــزو شعوب البحر لآسيا الصغرى وسواحل بلاد الشام ومصر وما أجمع عليه الباحثون هو أن الآراميين وصلوا إلى حكم البلاد وأسسوا ممالك قبلية مثل الكنعانيين ــ الآموريين قبلهم من غير عنف حسب الدلائل المتوفرة حتــى الآن وكما أن الكنعانيين في بلاد الشام قد حافظوا على كياناتهم القبلية تمثلها ممالك المدن كذلك كان الآراميــون الذين اكتفوا أحياناً بالتعاون والتضامن ضد الأخطار الخارجية ومنها الخطر الآشوري أسوة بالممالك الكنعانيــة التي شدت أزر بعضها ضد مصر.وفي مثل هذه الحالات أخذت مملكة واحدة زمام القيادة من غير أن تتفرد به إنما تعاونت مع غيرها.

وهنا يصح القول أن مملكة دمشق الآرامية قد تزعمت الممالك الآرامية الأخرى في بلاد الشام طوال قرنين من الزمن

مملكة صوبا:

تنطبق مقولة التاريخ يعيد نفسه على مكانة دمشق في الدورين الكنعاني والآرامي ففي الدور الكنعاني الأخير ١٦٠٠ ــ ١٢٠٠ق.م كانت هذه المدينة تابعة لمقاطعة افه ثم أصبحت عاصــمة مملكــة فــي عهــد الأميــر بيراوزا.أما في الدور الآرامي فقد كانت في البدء مملكة صوبا التي لا نعرف حدودها غير أنها تضم محافظــة ريف دمشق والبقاع والجولان وحوران الجغرافية التاريخية. وكانت مملكة تجارية تضم مشيخات آرامية عديدة نعرف منها آرام معكة على السفوح الجنوبية الغربية لجبل الشيخ في محيط قرية آبل السقي الآن التابعة لمنطقــة مرجعيون ومعكة هو اسم شخص نسبت إليه القبيلة ثم جيشور إلى الجنوب من معكة في حــوض الأردن مــن منابعه حتى مصبه في طبريا ونهر اليرموك وقد أظهرت التنقيبات الأثرية في المنطقة أن موقع بيت صــيدا أيٍ بيت الصيد على الضفة الشمالية لبحيرة طبريا شرقي مصب النهر فيها كان مأهولاً في الدور الكنعاني وأيضــا في دور آرامي جيشور الذي كانت عاصمتهم على الأرجح تل حدار على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا ونعرف من ملوكها تلما الذي زوج ابنته للملك داود. وإلى جانب جيشور كانت بيت رحوب ربما بين اليرموك والزرقاء ثم طوب إلى الشرق من بيت رحوب ربما من اربد شرقاً حتى البادية.؟

ونفهم من جملة ملوك صوبا (التكوين٣١ :٤٤ ــ ٥٤)أن هذه المملكة كانت اتحادية كما أسلفنا ومن أشــهر ملوكها هددعزر الذي عاصر داود وحكم في النصف الأول من القرن العاشر ق.م.أما في صموئيل الثاني ٨ : ٨ ــ ٣ فقد وصف هذا الملك بأنه من بيت رحوب وقد وقف إلى جانب مملكة بيت عمون ضد داود.ويفيــد أن حدود هذه المملكة الجنوبية قد وصلت نهر الزرقاء

كان لدى هددعزر قائدٌ عسكريٌ متمرنٌ اسمه رزون بن ايل يدغ تمرد على سيده فجمع حوله رجال القبائل وانطلق بهم إلى دمشق الآرامية.

يعتبر رزون مؤسس مملكة دمشق الآرامية وتزامن حكمه مع حكم سليمان حوالي ٩٦٥ ــ ٩٢٦ق.م. وقد سار بهذه المملكة نحو القوة والمنعة ومهاجمة أعدائه فسمي في كتاب العهد القديم الخصم العنيد الملوك الأول ١١ :٢٣ ــ ٢٥ وقد أعقبه في الحكم رزون بن طب رامون. لا نعلم شيئا عن هذين الملكين سوى اسميهما وكان كتاب العهد القديم مرجعنا فيها. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ق.م تواردت الأخبار عن آرام دمشق في الوثائق الآشورية التي ننظر إليها وإلى أخبار كتاب العهد القديم على أنها غير حيادية تنقل الخبر بعين العدو.

وحسب هذه المراجع نظن أن برهدد الأول بن طب رامون قد أدرك الخطر الآشوري على بلاد الشام فحث الآخرون على التحالف معه لصده فقد ذكر في حوليات سلمانصر الثالث ٨٥٩ ــ ٨٢٧ق.م أن هددادري=برهدد=بنهدد قد جمع حوله ملوك بلاد الشام الجنوبية من حماة حتى عمون/عمان وتصدى لمشروع سلمانصر في التوسع ببلاد الشام وجرت المعركة بين تحالف ملوك بلاد الشام وجيش سلمانصر في قرقر في الطرف الشمالي لسهل الغاب عام ٨٥٣ق.م.

ادعى سلمانصر أنه انتصر على هذا التحالف والوقائع تثبت أنه عاد إلى بلاده من غير أن يتابع ملاحقة المهزومين وأن هذا التحالف صمد في وجه الآشوريين الذين لم يعاودوا الهجوم على دمشق إلا في عام ٨٤٩ق.م

وبما أن الاسم بن هدد قد تداوله الآراميون أكثر من مرة وذكر مراراً في كتاب العهد القديم على نحو لا يجعلنا نتأكد من عدد الملوك الذين حملوا هذا الاسم،انقسم الباحثون في هذا الشأن بين من يزعم وجود ثلاثة ملوك بهذا الاسم وآخر يزعم وجود اثنين فقط.ومن تدقيق الأخبار المروية عنهم في كتاب العهد القديم وتمحيص ماورد خاصة في سفر الملوك الأول الأصحاح ٢٠و٢٢وسفر الملوك الثاني الأصحاح ٥ ــ ٨ومقارنته مع كتابات آرامية عن خزائيل ملك دمشق تبين أن بن هدد المذكور في سفر الملوك الأول هو غير بن هدد المذكور في سفر الملوك الثاني. فالمعارك التي خاضها آخاب=أخ أب ملك إسرائيل ٨٥١ ــ ٨٣١وحليفه يهورام ملك يهودا ٨٥١ ــ ٨٤٥ق.م مع بن هدد ملك آرام وحلفائه قد وقعت فيما بعد بين يهوأخذ ملك إسرائيل ٨١٨ ــ ٨٢٠ويهوٍآش ملك يهودا٨٤٠ ــ ٨٠١ق.م أما معركة جلعاد التي روي أنها وقعت في أيام آخاب ملك إسرائيل وفر هارباً من وجه بن هدد فقد وقعت أيام يهورام ملك إسرائيل ٨٥١ ــ ٨٤٥أو أيام يهواخذ ملك إسرائيل ٨١٨ ــ ٨٠٢ق.مٍ ويتردد بعض الباحثين في قبول هذا التصحيح للأخبار مع أنهم يشكون في صحة بعضها[1].

وتأسيساً على ما تقدم يكون برهدد المذكور في حوليات سلمانصر الثالث هو برهدد الأول وقد حكم تقريباً من ٨٨٠ ــ ٨٤٠ق.م

ويعرف عنه أنه قد وقف بصلابة وعناد ضد أطماع ملوك آشور في إخضاع بلاد الشام لسيطرتهم رغم أن سلمانصر الثالث لم يكف عن مهاجمته والضغط عليه للاستسلام عبر مهاجمته دمشق في الأعوام ٨٤٩و٨٤٨و٨٤٥ق.م وقد قيض له أيضاً أن يبقٍي على التحالف إياه. ونرى في كل ذلك أنه بقي الأقوى في بلاد الشام يعترف بمكانة دمشق ممالك الجنوب خاصة.

---

(1) Ugarit Forschungen 27 (1995) P. 613 — 625, N. Naaman Hazael of Amqi and Hadadere: of Beth — Behob

عودة على بدء تحدثنا على أن رزون بن ايل يدع قد تمرد على ملك صوبا هددعزر الذي ينتسب إلى قبيلة بيت رحوب ونرجح أن رزون كان من القبيلة التي كانت في دمشق وغوطتها فنقل الملك من قبيلة رحوب إلى آرام دمشق. وبعد مرور أكثر من قرن ردت الأمور إلى نصابها. فقد انقلب خزايل الذي وصفه سلما نصر الثالث بأنه "ابن لاحد" على برهدد الأول وانتزع الملك منه وهو من بيت رحوب مثل هدد عزر. غير أنه لم يشأ بنقل العاصمة من دمشق إلى مكان آخر؟

وعلى أية حال فإن استمرار أعمال البحث والتنقيب عن الآثار في بلادنا يضيف دوماً وثائق جديدة تسهم في إضاءة جوانب من التاريخ فبعد أن كنا نعتمد على كتاب العهد القديم في تسطير صفحات من كتاب تاريخ آرام دمشق، فقد اكتشف ولحسن الحظ في معبد الربة هيرا بساموس في اليونان قطعة برونزية مزخرفة من لجام حصان سطرت فيها كتابة آرامية ترجمتها: هذا ما قدمه هدر لسيدنا خزأيل من وادي (بقعة) باشان. رصيعة جبهة.سيدنا المبجل انتهى.وفي ذات الموقع كانت قد اكتشفت حلية سرج خيل برونزية سطرت فيها ذات الكتابة.وقد يجد الباحثون آراء أخرى حول هذا الموضوع لاحاجة لتثبيتها هنا.

وفي هذا السياق نذكر أنه قد اكتشف في موقع أرسلان طامش/خداتو القديمة قطعتي عاج من سرير فاخر سطر فيها جملة تشوهت وأكملها الباحثون على النحو التالي: العرش (أي السرير) الذي قربه(قدمه) عمَّا لسيدنا خزايل بسنة أخذت حوران. وهذا دليل على أن حوران قد ضمها حزايل لمملكته ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن الآشوريين قد ذكروا أنهم هاجموا مدن خزايل في حوران(١).

في سفر الملوك الثاني الأصحاح الثامن وصف خزايل بأنه خنق برهدد سيده فتخلص منه. وقد تباينت آراء الباحثين في هذا الشأن فالمشككون في هذه الرواية يعتمدون في تشكيكهم على أن الأصحاح إياه يؤكد أن خزايل كان من أقرب الناس إلى برهدد والمؤتمن عليه. ولا نستبعد أن يكون من اغتاله؟!ولد آخر له من أم ثانية أو ثالثة حسب عادات ذلك العصر فالملوك يتزوجون أكثر من واحدة، وتبقى الأولى في المقام الأول.وفي هذا السياق يقول John Grayجون كراي أن خزايل لم يكن بحاجة إلى بل اللحاف أو اللباد بالماء لخنق سيده إذ يمكن له أن يخنقه باللحاف الجاف(٢) وأن صيغة الفعل في الجمل يأخذ ويبلل ويفرش تحتمل وجود فاعل آخر.ربما كان هو الملك نفسه الذي أرادٍ أن يتخلص منٍ حياته الميئوس منها. وعلى أية حال هدف محررو سفر الملوك الثاني إلى جعل خزايل مجرماً وقاتلاً ومغتصباً سلطةٍ الرب على مملكة إسرائيل لينتقم منهم لبشاعة ورداءة أعمال ملوكها.

وقد يصبح هذا الأمر أكثر وضوحاً. إذا قارنا ما ورد في سفر الملوك مع ما ورد في النصوص الآشورية حول خزايل. فقد ادعى سلمانصر الثالث أنه هزم هدد عزر=برهدد الدمشقي وهدد عازر مات وجلس خزايل على العرش مكانه. إذاً برهدد الأول لم يخنقه خزايل بل مات وجلس خزايل بن لا أحد مكانه فهو لم يوصف بأنه مغتصب بل ربما هو من فرع آخر. وأرادوا الحط من قدره وتجاهل نسبه بعد أن صدهم عن أبواب دمشق عام ٨٤١ق.م وخلاصة ما ذكرت أن خزايل ليس قاتلاً بل هو من بيت رحوب استعاد ملك بيت رحوب بعد أن أخذه رزون منهم.

وفي عام ٨٣٨ أو ٨٣٧ عاود سلمانصر غزو آرام دمشق فلم يدخلها بل هاجم أربعة مدن هامة من مدن خزايل نعرف منها مدينتي دنابا وملاحة. وهما الآن قرية الدنيبه جوار ازرع من الغرب ومليحة الشرقية أو الغربية جوار بصر الحرير من الشرق. وقد جابه آرام دمشق الآشوريين من غير التحالف الذي قاده برهدد الأول

---

(1) Marchands Diblomates Et Embereurs Ere Paris 1991 P.91 —108, A. lemaire Hazael De Damas. Roi D Aram

(2) Ugarit Forschungen 28 (1996) p. 547 — 554,Victor Sasson Murderesse,Usurpaturs,or What? Hazael Jeho and the Tell Dan Dld Aramic Insicription

توقف الآشوريون عن غزو دمشق بعد عام ٨٣٧/٨٣٨حتى عصر هدد نيرارٍي الثالث ٨١٢ ــ ٧٨٢ق.م الــذي جرد حملة على دمشق عام ٨١١ق.م وتأسيساً على ذلك انقضت ثلاثون عاماً والحرب متوقفة بــين آشــور وآرام دمشق وبالمقابل استمرت النزاعات بين إسرائيل ويهودا من جهة وآرام دمشق من جهة أخرى لأســباب مختلفــة. ففي عام ٨٣٧/٨٣٨ فر خزايل من دمشق من وجه الآشوريين بينما قدم يهو ملك إسرائيل ٨٤٥ ــ ٨١٨الجزيــة لسلمانصر الثالث وقد خلد النحات الآشوري هذا الحدث بالحرف والصورة في مسلة سلمانصر تدليلاً على الطاعــة والولاء.وهذا يشير بوضوح إلى أن تحالف برهدد الأول مع بقية الممالك قد انفرط عقــده لعــدة عوامــل داخليــة وخارجية. ففٍي إسرائٍيل حكمتٍ سلالة عمرٍي ٨٨٢ ــ ٨٤٤ المجهول النسب ونظن أن اسمه غير يهودي وكــان قائداً عسكرياً غريباً ومتمرساً نودي به ملكاً على اسرائيل عام ٨٨٢فأشاع المساواة بين السكان واعتــرف بثقافــة الآخرين وعاداتهم فقد تغاضى عن بناء المعابد للأرباب الكنعانيين وممارسة المناسك الدينية فيها. فحصد غضــب الكهنة اليهود عليه وعلى خليفته آخاب الذي تزوج بسيدة من صور اسمها ايزابيل ساعدت على انتشار عبادة الرب بعل أوملقرت في البلاد ودعا أيضاً إلى التسامح والانخراط في حضارةٍ المنطقة والقبول بالآخرين(١).

تمدد خزايل في المنطقة ابان توقف الآشوريين عن التوسع غرباً وحزم أمره على إعادة سلطة دمشق على أقاليمها التي هددتها سلالة عمري غير الإسرائيلية عن طريق محاولة الاضطرابات على الحدود مع آرام دمشق فكانت المعركة الأهمٍ والفاصلة في رامون جلعاد تقديرا بمنطقة اربد هزم خلالها يهورام بــن آخــاب ٨٥٠ ــ ٨٤٤م وعاد جريحا إلى السامرة وثابر خزايل على تحقيق مشروعه في جمع كلمة آراميي بلاد الشام وعلــى الأخص شيوخ وقبائل آرام في الجنوب للدفاع عن مناطقهم والتصدي بحزم للتعصب الإسرائيلي حيال جيرانهم الذين نظروا إلى الكنعانيين والآراميين بازدراء وتحصنوا بأن ربهم يهوه فضلهم عليهم فهم شعب الله المختــار عليهم نشر عبادة يهوه دون سواها فعمدوا إلى تدمير معابد الكنعانيين وقتل كهنتها حالما صعدت سلالة يهو إلــى الحكم وقضت على سلالة عمري وأنكرت على ملوك إسرائيل حتى التعاون مع المدن الســاحلية مثــل صــيدا وصور في أية مجالات (الملوك الثاني أصحاح ٨ ــ ١٠). تابع خزايل سياسته الهجومية ضد إسرائيل وبحزم في عهد يهوأخذ ٨١٨ ــ ٨٠٢ ق.م وحليفه يهورام فدانت له هي ومملكة يهودا وطهر الأراضي الممتدة إلــى الشرق من نهر الأردن من أي وجود إسرائيلي أو يهودي ذي صبغة دينية حضرية تعصبية وقد خلد انتصاراته هذه وحسب عادة ملوك ذاك الزمن الأقوياء في نصب أقيم في مدينة دان=تل القاضي الآن قرب منــابع الأردن غربي بانياس.

أثناء تنقيب الآثاريين الإسرائيليين في تل القاضي وبتاريخ ٢١تموز ١٩٩٣اكتشفت كسرة من هذا النصــب المنحوت من حجر البازلت ضمن رصفة حجرية أمام البوابة الخارجية لمدينة دان التي تعود إلى منتصف القرن التاسع ق.م وسميت الكسرة A.

ثم اكتشفت كسرتان هما B1 وB2 في ذات الموقع. وقد ثبت أن الكسر من نصب حطمه غزاة منتقمون ربما في عصر تجلات فلصر الثالث ملك آشور عام ٧٣٢عندما قضى على مملكة آرام دمشق وحول مناطقها إلــى ولايات آشورية أبعاد النصب الآن ٣٢×٢٢ سم ويقدر ارتفاعه الحقيقي بمتر واحد وعرضه نصف متر.سطرت فيه كتابة تتألف الآن من ثلاثة عشر سطراً كلماتها مشوهة وقد صيغت بلغة آرامية قديمة تعود حســب شــكل الحروف والصرف إلى القرن التاسع ق.م. وقد نقشت بجودة وتقانة عالية تفصل النقاط بين الكلمات وقراءتهــا سهلة.اسطر النص ناقصة وبعض الكلمات الباقية مشوهة ورغم ذلك حاول الباحثون كل حسب طريقتــه إتمــام

(1) Grundriss der Gesch, schte Israel (1979)p. 107 ـ 121,M. Metzger

الجمل والتعرف على الأحرف المفقودة في الكلمات وذلك في ضوء سياق المعنى والأحداث التاريخية المفترضة فتباينت آراؤهم في الجزئيات وليس في المعنى العام. والمدهش أنه ما أن رأى الباحثون النص منشوراً حتى تباروا فيٍ دراسته ولا أبالغ إذا قلت إنه ما من نقش آرامي حظي بمثل هذا الاهتمام وسطرت في دراسته وتحليله الكثير جداً من الأبحاث مثل هذا النصب الذي يخص حقبة هامة من تاريخ المنطقة في القرن التاسع ق.م.وقد التمس فيه المؤرخون بصيص نور يلقى على الأحداث التي وقعت وقت ذاك(١).

وتصف هذه الكتابة حسب إجماع الباحثين معارك جرت بين ملك آرامي وملوك اسرائيل ويهودا نتعرف من خلال مقدمتها على معارك أسلافه حسب المنهج الآرامي في أن يصف صاحب النص ماقام به أسلافه من أعمال ثم يتبعه بما حققه هو ليترك للقارئ موضوع الحكم على الأعمال.وبالفعل جاءت معظم السطور متضمنة أعمال برهدد وإن التف الباحثون حول موضوع الكتابة فقد تباينت آراؤهم حول تحديٍد هوية صاحبها.

ذهب بعضهم إلى القول إن صاحب النصب هو ملك من بيت معكه وكان مقيماً في دان حيث عثر على النصب وخاض الحرب باسم ملك دمشق لأنه يتبع له.عارض هذا الرأي معظم الباحثين الذين اقتنعوا أن صاحب النص هو ملك قوي قادر على فرض سيطرة مملكته على المنطقة وإخضاع الأعداء لمشيئته،فوقع الاختيار على الملك خزايل لشدة بأسه وتمرسه بالقيادة وشهادة خصومه ملوك السامرة ويهودا بتغلبه عليهم وإخضاعه لهم وحشرهم في مدنهم وكذلك قدرته في جمع الآراميين حوله وتوحيدهم في وجه العدو.

إن سيرة خزأيل تدعمٍ ذلك فقد تولى الحكم عام ٨٤٢ أو ٨٤٠ق.م واستمر حتى عام ٨٠٥ أو ٨٠٣ق.م فحكم البلاد أربعين عاماً وقد تولى الحكم في ظروف قاسية تمثلت في مرض برهدد الطويل ثم وفاته وانشغاله هو في الإشراف على علاجه، بينما كان الآشوريون يستعدون لتحقيق مشروعهم في إخضاع مملكة دمشق الآرامية وهو يستعد لإفشال مشروعهم.

وبموازاة ذلك تقرب يهو ملك السامرة من الآشوريين كما ذكرنا وربما حصل على موافقتهم في تصفية الحسابات مع جيرانه الآراميين شرقي النهر وهذا ما نستنتجه من ما ورد في السطرين الأول والثاني في الكتابة وقيام ملوك إسرائيل ويهوذا بمهاجمة آراميي شرقي النهر بعد وفاة برهدد الأول والد خزأيل المفترض.

وبعد هذه المقدمة يستطرد النص فيقول على لسان خزأيل: أنا وهدد(الرب هدد) أمامي.... وقضينا على المشاة والعربات وعلى ألفي خيال من قوات إسرائيل وبيت داود ونشرت الدمار والخراب في أراضيهم . وهذه إشارة واضحة إلى مملكة اسرٍأيل وبيت داود أي على الأرجح مملكة يهود وقد تشوهت أسماؤهم بسبب تكسير النصب ويجمع الباحثون تقريباً على أن يهورام بن آحاب كان ملك إسرائيل وآخازيا بن يهورام كان ملك يهودا(٢).

جاءت هذه الكتابة والتنقيبات الأثرية في بيت صيدا وتل حدار على ضفاف طبرية الشمالية والشرقية لتؤكد سيطرة الآراميين على حوض الأردن من منبعه حتى التقائه مع نهر الزرقاء من خلال استيطان آرامي ببيت معكه في الشمال وجيشور في الوسط وبيت رحوب وطوب في الجنوب وهي تتبع مملكة آرام دمشق.

خلف مرئي والده خزأيل على العرش وما أن بدأ حكمه حتى فاجأه هدد نيراري الثاني ٨١١ ــ ٧٨١ ق.م بظهوره على أبواب دمشق واستلامه الجزية منه وذلك في السنين العشر الأوائل من سني حكمه. والغريب وعلى غير عادة الآشوريين أنهم وصفوا مرئي بأنه ملك دمشق وهم الذين يصفون ملوكها شيخ دمشق. وكانت فترة حكمه قصيرة امتدت من حوالي عام ٨٠٥ ــ ٨٠٠ق.م وقد خلفه على العرش أخوه برهدد الثاني حوالي

---

(١) المصدر السابق Victor Sosson

(٢) Victor Sasson لاحاجة لتعداد الأبحاث التي نشرت حول الكتابة ففي أحدث الدراسات وخاصة دراسة تسجيل لها

٨٠٠ ــ ٧٧٥ق.م .استفاد خلالها من تاريخ أبيه خزأيل الحافل بالانجازات التي رفعت دمشق إلى أسمى مكانة بين الممالك الآرامية فحافظ عليها بجدارة ونجح في التصدي لأول مشكلة تعرض لها الآراميون فقد لبى نـداء ملك ارفاد لردع ذكير ملك حماة عن احتلال أراضي في مملكة ارفاد وجمع حوله ملوك بلاد الشام الآراميـين وقامت جيوشهم بمحاصرة حزراء وهي مدينة بمنطقة معرة النعمان التي تحصن بها ذكير ملك حماة ولعش ثـم ما لبثوا أن تراجعوا عن حصارها حالما عاود هددنيراري الثالث مهاجمة بلاد الشام وقد خلد ذكير هذه الواقعـة في نصب وجد في تل آفس.(١)

هذه كانت الوثيقة الوحيدة عن برهدد الثاني وقد خلفه على العرش خديانو حوالي ٧٧٥ ــ ٧٥٠ق.م الـذي ذكره التورتان (الوالي) القوي شمشي ايلو الذي كان يحكم من مركزه بتل أحمر على الفرات الأوسـط شـمالي جبل عاروده الجزيرة وبلاد الشام الشمالية وذلك من خلال حملة قادها على دمشق في الفترة ما بـين ٧٩٦ ــ ٧٧٣.كان هذا الوالي الآشوري من أصل آرامي نافس مملكة دمشق في زعامة الآراميين فأضعفها من خـلال حملته هذه ومهد الطريق لاحتلال التوازن بين دمشق وجيرانها.

انهمكت آشور في عهد الملوك هدد نيراري الثالث وسلمانصر الرابع وآشوردان الثالث وآشـور نيـراري الخامس من ٧٨٢ ــ ٧٤٥ في صراعاتها الداخلية وتخلت عن متابعة المشروع الآشوري في إخضاع ممالـك آرام ببلاد الشام لنفوذها . وفي هذه الأثناء تفرغت هذه الممالك للعمل على بناء حضارة مزدهرة حتـى اعتلـى العرش في آشور تجلات فلصر الثالث ٧٤٥ ــ ٧٢٧ فأحيا هذا الملك العنيف والقاسي المشـروع الآشـوري فهاجم لتوه دمشق وكان ملكها رقيانو/رحيانو وذلك في أعوام ٧٤٣و٧٣٩و٧٣٨ وألزمه دفع الجزية من غير أن يدخل دمشق أي أنه كغيره من ملوك آشور شن عليها حرب استنزاف تهدف إلى تدمير المدن القوية في المملكة لإضعاف العاصمة فيتحقق له فيما بعد دخولها والسيطرة عليها وخلال هذه الفترة لم يفقد رحيانو حوالي ٧٥٠ ــ ٧٣٢ق.م الأمل في جمع الآراميين وغيرهم من ممالك بلاد الشام الجنوبية حوله والتصدي للآشوريين وأبـرز من تحالف معه فقح ٧٦٤ ــ ٧٣٢ق.م ملك إسرائيل بينما تمنع عن دخول هذا التحالف آخاذ ملك يهودا ٧٤٢ ــ ٧٢٦ق.م فهاجمه الحليفان رحيانو وفقح وضيقوا عليه (أخبار الأيام الثاني أصحاح ٢٩) فاستنجد بملـك آشـور تجلات فلصر الذي هاجم المنطقة عام ٧٣٢ فقضى على دمشق والسامرة وحولها إلى ولايات آشورية.

وهكذا زالت مملكة دمشق وكلنا أمل في أن نعثر في تل الدبة قرب السويداء على آثار آرامية تساعدنا فـي التعرف على أحوال حوران خلال هذا العصر والواقع أن أشياء كثيرة في محافظة ريف دمشق وحوران بقيت تذكرنا بالتراث الآرامي مثل أسماء القرى: كفرسوسه وبرهليا وصيدنايا وعشرات المدن الأخرى وكلنا نعـرف أن الآرامية مازالت حية أيضاً في معلولا وغيرها.

/ /

(٢) الآراميون تاريخاً ولغةً وفناً دار أماني طرطوس ١٩٨٨ص ٦٦و١٢٩ ــ 16١٩٢ .